الباب الثالث

إجنتس جولدتسيهر وفكرته عن علم القراءات في الباب الأول

من الكتاب *مذاهب التفسير الإسلامي*

أ. ترجمة موجزة عن حياة إجنتس جولدتسيهر

كان سيد الباحثين في الإسلام من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة هو إجنتس جولدتسيهر. هو المستشرق من هنغاريا. ولد إجنتس في 22 يونيو سنة 1850 و مات في 13 نوفمبر سنة 1921 في مدينة بودافست[1]. أسرته أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير.

أما دراسته فقد قضى السنين الأولى منها في بودابست، ومن ثم ذهب إلى برلين سنة 1869 فظل بها سنة انتقل بعدها إلى جامعة لايبزغ. وفيها كان أستاذه في الدراسات الشرقية Fleisser، أحد المستشرقين النابهين في ذلك الحين وكان ممتازا في الناحية الفيلولوجية على وجه التخصيص. وعلى يديه ظفر إجنتس بالدكتوراة الأولى سنة 1870 وكانت رسالته عن شارح يهودي في العصور الوسطى شرح التورة، هو تنخوم أورشلمي[2].

[1]Abdurrahman Badawi, *Ensiklopedi Tokoh Orientalis (موسعة المستشرقون)*, Translator: Amroeni Drajat, (Yogyakarta: LKiS, Second Edition 2003), p. 150-152.

[2]*Ibid.*, p. 151.

ومن ثم عاد إلى بودابست، فعين مدرسا مساعدا في جامعتها سنة 1872 ولكنه لم يستمر في التدريس طويلا، وإنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج، فاشتغل طوال سنة في وينا وليدان. وارتحل من بعد إلى الشرق من سبتمبر سنة 1873 إلى أبريل من العام التالي. فأقام بالقاهرة مدة، ثم سافر إلى سوريا وفلسطين[3].

يتجه إجنتس إلى الدراسات الشرقية وهو لا يزال في سن السادسة عشرة فيترجم وهو في هذه السن قصتين من التركية إلى اللغة المجرية، تنشرها له إحدى المجلات ويضعهما تحرير هذه المجلة تحت عنوان "*مستشرق في السادسة عشرة*".

ومنذ هذه السنة، سنة 1866، وهو في كل سنة يخرج بحثا أو طائفة من الأبحاث بين كتب ضخمة قد يتجاوز حجم المجلد الواحد منها أربعمائة صفحا، وبين مقالات متوسطة الحجم بين العشرين والستين صفحة وتعليقات صغيرة وبحوث نقدية تعريفا بالكتب التي تظهر باستمرار، حتى بلغت مجموعة أبحاثه كما بينها فهرست مؤلفاته 592 بحثا، منها:

1) أول كتب نقده إجنتس هو الكتاب عن تمهيد علم الفقه المسمى *بالظهيرية: مذهبهم وتاريخهم* في السنة 1884. في هذه القضية، اعتمد إجنتس إلى المصادر الأصلية في كل مبحث من هذا الكتاب[4].

[3] *Ibid.*, p. 151.
[4] *Ibid.*, p. 152.

2) ألف إجنتس كتاب الحديث المسمى *بدراسات اسلاميات*. الجزء الأول من هذا الكتاب طبع سنة 1889. وأما الجزء الثاني طبع في السنة بعدها. شرح إجنتس الجزء الأول من هذا الكتاب عن تاريخ الإسلام في القرون الأولى وعظمة أخلاق الإسلام على ثقافة الجاهلية. أما في الجزء الثاني من الكتاب قدم إجنتس صورة صادقة ونظرة نائدة في تاريخ الحديث وتطوره وكشف عن قيمة الحديث لا باعتباره حقائق، وإنما باعتباره مصدرا عظيما لمعرفة الاتجاهات السياسية والدينية والروحية عامة[5].

ومن الكتب الأخرى التي ألفها إجنتس هو *المعمرين* و *مستصدري* و *محاضرات في الإسلام* و *اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين*[6].

ب.*مذاهب التفسير الإسلامي* لإجنتس جولدتسيهر

ومن كتبه التي نالت إهتماما كبيرا للقراء هي *اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين*. طبع هذا الكتاب سنة 1920[7] وطبع مرة ثانية تحت الموضوع *مذاهب التفسير الإسلامي* بزيادة تعليقات من عبد الحليم النجار، الأستاذ من كلية الآداب بجامعة القاهرة.

هذا الكتاب يضم على ستة موضوعات، وهي:

---

[5]*Ibid.*, p. 152-153.
[6]*Ibid.*, p. 154.
[7]*Ibid.*, p. 154.

1) الموضوع الأول : المرحلة الأولى للتفسير

2) الموضوع الثاني : التفسير بالمأثور

3) الموضوع الثالث : التفسير في ضوء العقيدة مذهب أهل الرأي

4) الموضوع الرابع : التفسير في ضوء التصوف الإسلامي

5) الموضوع الخامس : التفسير في ضوء الفرق الدينية

6) الموضوع السادس : التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

ت.علم القراءات عند إجنتس جولدتسيهر

المبحث الأول في *مذاهب التفسير الإسلامي* عند إجنتس جولدتسيهر هو البحث عن المرحلة الأولى للتفسير. بدأ إجنتس في الباب الأول بذكر رأيه، على أن كل تيار فكري بارز في مجرى التاريخ الإسلامي، يتجه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس وإلى اتخاذ هذا النص سندا على موافقته للإسلام ومطابقته لما جاء به الرسول. وهذا الإتجاه كان بطبيعة الحال هو المنبت لكتابة تفسير مذهبي. ومقصود البحوث التالية هنا لمعرفة على أي وجه ةإلى أي مدى من النجاح اتجهت المذاهب الدينية في تاريخ الإسلام إلى تحقيق ذلك الغرض[8].

[8] إجنتس جولدتسيهر، *مذاهب التفسير الإسلامي*، عبد الحليم النجار (المحقق)، (بغداد: مكتبة المثني، 1955)، ص. 3.

تتمثل المرحلة الأولى لتفسير القرآن وأوائل هذا التفسير المشتملة على البذور الصالحة في إقامة النص نفسه[9].

لا يوجد كتاب تشريعي نزل بشكله الاضطراب وعدم الثبات، إلا في نص القرآن فحسب. أما مصدر الكلمات القرآنية هو *سفر الخروج*[10].

فالمسلمون يريدون أن يجمعوا نص القرآن مرتبا، لأن نزوله غير مرتب. ولكن ذلك العمل لم يكن إلا في مراحل متأخرة. هذه القضية حدثت لأن الميل إلى توحيد النص الأصلي شيئ غريب على الإسلام في بادئ الأمر، أو هو أمر غير ذي بال ذلك الوقت. فاذا، لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة[11].

لعدم وجود نص موحد للقرآن في أوائل قرن الإسلام، وجد اختلاف قراءة القرآن. وصياغة النص المختلفة هي أولى مراحل التفسير. سبب وجود اختلاف القراءات هو مرونة نص القرآن. أو في ناحية أخرى، أن سبب وجود اختلاف القراءات يرجع إلى خصوصية الخط العربي الذي ليس له النقط والحركات[12]. وأن النص القرآني المتلقى بالقبول يعتمد على إهمال

---

[9] *نفس المرجع*، ص:3.

[10] *نفس المرجع*.، ص. 3-11.

[11] *نفس المرجع*.، ص. 5-8.

[12] *نفس المرجع*.، ص. 6-8.

الناسخ. وأن القراءة المخالفة المقترحة تقصد إلى إقامة النص الأصلي الذي أفسده سهو النساخ[13].

وفي الناحية الأخرى، يبدو بمكان غير هين من الغرابة، أن القراءات المخالفة للنص المشهور ذكرت على أنها قراءات الرسول. وهذا يدعو إلى افتراض أنه لاحرج في رواية كلام الله على وجه آخر غير الوجه الذي بلغه الرسول في الأصل[14].

ذروة إقامة نص القرآن، يستطيع أن تُنظر في الخبر أن الخليفة عثمان قرأ القرآن أحيانا على وجه يختلف بالنص في الكتابة المأثورة التي رتّب عملها ثم اعتمدها. في سورة آل عمران الأية 104:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (آل عمران: 104﴾

أضاف عثمان زيادة لم تؤخذ في النص العثماني: " ويستعينون الله على ما اصابهم"[15].

فلا جناح على الناس أن يقرؤا القرآن بالمعنى، مع أن تلك القراءة تختلف في الخط. يُستنبط هذا الرأي من قول عمر بن خطاب: "كاف شاف ما لم تجعل آية رحمة عذابا وآية

---

[13] *نفس المرجع*.، ص. 46.

[14] *نفس المرجع*.، ص.50-51.

[15] *نفس المرجع*.، ص. 48.

عذاب رحمة". أى ما دام لم يحصل اختلاف أساسي في معنى الألفاظ. فالمعول إذا، الأهم في القراءة حماية المعنى الذي يستبطنه النص، لا على الاحتفاظ المتناهي في الدقة بقراءة معينة[16].

نقل إجنتس رأي عبد الله بن المبارك لتأييد رأيه عن القراءة بالمعنى، أنه لا يرد على حرف الذي يخالف بالقراءة المشهورة إذا قرأ القرآن. وفي الناحية الأخرى، نقل إجنتس قراءة ابن مسعود ، أنه بدل لفظ "اهدنا" في سورة الفاتحة الآية 6 باللفظ "أرشدنا"[17].

وكل قراءة صحيحة بهذا المعنى ذات حق من طبيعة الإعجاز في كلام القرآن الإلهي. ولكن لا يجوز الخروج على هذه الاختلافات الثابتة بالرواية في النص[18].

فإذا، النشاط في إقامة نص القرآن التي شرحها في الباب الأول من *مذاهب التفسير الإسلامي* هو المرحلة البدائية في تفسير القرآن. وأما كل ما يتعلق بإقامة النص المقدس في الإسلام الأول تسود على حرية مطردة إلى حرية فردية، كأنما كان، سواء لدى الناس أن يرووا النص على وجه لايتفق بصورته الأصلية[19].

من نقطة البدء وحجر الأساس لإحقاق علم القراءات هو حديث رسول الله أن الله أنزل القرآن على سبعة أحرف. وهو في معناه الصحيح، الذي لم يقف العلماء أنفسهم موقفا

---

[16] *نفس المرجع*، ص. 49.
[17] *نفس المرجع*، ص. 49-50.
[18] *نفس المرجع*، ص. 55.
[19] *نفس المرجع*، ص. 48.

واضحا منه، ذكرت في تفسير 35 وجها، ليس لها علاقة باختلاف القراءات. بيد أن، كثرة إهاجة نص القرآن حملت على افهام تفسير لفظ "أحرف" في ذلك الحديث بالقراءة، و على أن استخدام الحديث يدل على التصويب المقيد ببعض النظم والشروط للقراءات السائدة[20].

وورد ذلك الافهام لما روي أن الرسول أصدر هذا المبدأ الأساسي حينما عرضت عليه اختلافات في قراءة نص القرآن. ومن كل أحرف في تنزيل القرآن، كل منها يمثل على قدم المساوة كلام الله المعجز[21].

أما أول من بحث في القراءات المختلفة ببحث نقدي وتمحيصي وتلمس وجوه النظر التي عُلّلت بها وفحص طرق الإسناد التي تعتمد عليها غرائب القراءات فحصا دقيقا، هو يهودي من البصرة دخل الإسلام: هارون بن موسى (المتوفى حوالي 170–180 هـ)[22].

بعد مرور الزمان، حصل الاعتراف على دائرة القراءة القرآنية بسبع مدارس، تمثل كل منها اتجاها في القراءة. ويؤيد كل مذهب قراءاته بالرواية المعتمدة. وينبغي قصر حق التساوي في إقامة النص القرآني على قراءات هذه المدارس السبع[23].

---

[20] *نفس المرجع*، ص. 53.
[21] *نفس المرجع*، ص.54.
[22] *نفس المرجع*، ص. 55–56.
[23] *نفس المرجع*، ص. 56.

وبمقتضى ذلك، سرعان ما صار مطلوبا إلى من يتخصص بعلم القرآن (القارئ والمقرئ) أن يستبطن النص المقدس بتلك القراءات السبع. وإلا فلم يكن له حق التجلي بلقب قارئ القرآن. وهذه الأستاذية يحصل إبرازها دائما لمن أُثني على أحد العلماء بأنه مقرئ[24].

بهذا التحديد، فغاب عنصر الحرية في القراءات السبع. قسم المقدسي، العالم الجغرافي، القراءات السائدة في عصره وفي المنطقة التي باشر فيها ملاحظاته الجغرافية إلى أربع مجامع أساسية موزعة على الأقاليم. قال المقدسي: "إن الكل صحيح في رأي أكثر الأئمة، كذلك نسمع من جانب آخر عن ثمانية أو عشرة من القراء المعتد بهم الذين تتالى ظهورهم حتى القرن التاسع الميلادي"[25].

حقا لقي العدد المتكاثر من مجاميع القراءات ينقص إلى سبع مدارس. فحصل به المعنى الجديد لحديث الأحرف السبعة على أنها القراءات السبع. الحد في القراءات السبع، حقيقة، صدر من تفكير خصيب. وأريد بالوقوف عند حد هذ العدد المعين ليحول دون فيض الخواطر الاختيارية[26].

---

[24] *نفس المرجع*.، ص. 57.

[25] *نفس المرجع*.، ص. 57-58.

[26] *نفس المرجع*.، ص. 58-59.

ولكنه، كان من العلماء من لايرتضى في أن الحديث عن الأحرف السبعة تقصد إلى التحديد بعدد معين. منهم أبو بكر بن العربي (المتوفى سنة 536 هـ/1151 م)، قاضي أشبيلية، وأبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (المتوفي سنة 437 هـ/1045 م)، مقرئ القراءة. قالوا بأن ذلك التحديد ليس من شيئ إلا ابتداعا محضا من عمل المتأخرين. وأن من التدليس إيجاد علاقة بين مدارس القراء وحديث الأحرف السبعة[27].

وكان العلماء اسمه أبو شامة. هو العالم الذي اشتهر أساسيا بأنه مؤلف مصدر هام في تاريخ الحروب الصيبية عن نور الدين وصلاح الدين. قال أبو شامة: "أن إجماع أهل العلم على خلاف أن حديث الأحرف السبعة مراد به القراءات السبع الموجودة الآن، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. وقد ألف أبو شامة كتابا خاصا في وجوه التفسير المختلفة لحديث الأحرف السبعة[28].

وفي الواقع، لم يبق الناس واقفين في العصور المتأخرة على قاعدة القراءات السبع أو العشر. يحيل شهاب الدين القسطلاني في كتابه ***شرح البخاري*** عن قراءات القرآن الأربع

---

[27] *نفس المرجع*، ص. 59.

[28] *نفس المرجع*، ص. 60.

عشرة. وورد على لسان الجارية الضليعة في العلم. تودد افتخارها بأنها تستطيع أن تقرأ القرآن بالقراءات السبع والأربع عشرة[29].

يتجاوب هذا الرأي تماما مع موقوف أهل السنة المدعوم بالنقل في العصر الأول عن تجاه القرءات، أن من سيعد محافيا للورع لو يرفض قراءات مروية عن الثقات الأتقياء، مهما شذت هذه القراءات بجاب القراءة المشهورة. والصحابيان عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب هما مصدران أشدَ التغييرات تغلغلا في نص القرآن. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان مؤسس مذهب الخلال الذميمة من مذاهب المدارس الكلامية المخالفة، هو ضرار بن عمرو، رفض قرائتي هذين الامامين جميعا ولم يعترف بأنهما من الوحي المنزل[30].

شرح إجنتس أن أسباب وأهداف اختلاف قراءات الصحابة ، بلغت إلى تسعة أحوال. وهي:

1) اختلاف القراءات بسبب عدم النقط في نص القرآن في أوائل تطور الإسلام. الأمثلة في هذه المواقع هي:

أ) في سورة الأعراف الآية 48،

---

[29] *نفس المرجع*، ص. 60-61.

[30] *نفس المرجع*، ص. 61.

﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون (الأعراف: 48)﴾

قرأ بعض العلماء قراءة لفظ " تستكبرون" بـ"تستكثرون"[31].

ب)في سورة الأعراف الآية 57،

﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ... (الأعراف: 57)﴾

بدل بعض العلماء حرف "ب" في لفظ "بشرا" بحرف "ن"، فصار لفظ "نشرا"[32].

ت)في سورة التوبة الآية 114،

﴿وَما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ... (التوبة:114)﴾

قُرأ لفظ "إياه" في هذه الآية بالياء المثناة التحية. وفي القراءة الغريب، وهي قراءة حماد، قُرئ بـ"أباه"[33].

ث)في سورة النساء الأية 94،

---

[31] *نفس المرجع*.، ص: 9.
[32] *نفس المرجع*.، ص. 9.
[33] *نفس المرجع*.، ص. 9.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ... (النساء: 94)﴾

كان أكثر علماء القراءة يقرأ لفظ "فتبينوا" بـ"فتثبنوا". هذه القراءة موجودة لأن لفظ "فتبينوا" في المصحف كُتب بدون النقط " فسسوا "[34].

ج) في سورة البقرة الآية 54،

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم (البقرة: 54)﴾

قرأ بعض العلماء، مثل قتادة من البصرة، لفظ "فاقتلوا" بـ"فاقيلوا". خلافا للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم. اختلاف القراءة في هذه الآية بسبب اجتهاد العلماء الذين قد زعموا على أن قتل أنفسهم أو قتل الآثمين منهم، أمرا شديد القسوة وغير متناسب مع الخطيئة فعلها بنو إسرائيل[35].

---

[34] *نفس المرجع*، ص. 9-10.

[35] *نفس المرجع*، ص. 10-11.

ح) في سورة الفتح الآيتين 8-9،

﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا * (الأعراف: 8-9)﴾

فبدلا من "وتعزروه" بالراء المهملة الذي معناه: وتساعدوه، قرأ بعضهم "وتعززوه" بالزاء المعجمة بمعنى: وتعظموه. ومن هدف تغيير النص على هذا الوجه خشيةُ تصور أن الله ينتظر مساعدة أو معونة من الناس[36].

هذا من أمثال اختلاف القراءات بسبب عدم النقط في نص القرآن وكثير منها يدور في حرف "ب"، هل هي تُقرأ بـ"ب" أو "ت"[37].

2) القراءات بسبب عدم الشكل في نص القرآن. الأمثلة في هذه القراءات:

أ) في سورة الحجر الآية 8،

﴿ما نُنَزِّلُ الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين (الحجر: 8)﴾

[36] *نفس المرجع*، ص. 11-12.
[37] *نفس المرجع*، ص. 12.

كان ثلاث طرائق في قراءة لفظ "ننزل" في هذه الآية، بـ" نُنَزِّلُ" أو "تَنْزِلُ" أو " تُنْزَلُ". وتفيد المعنى كل كلمة بما يناسبها: نحن ننزل الملائكة، أو الملائكة تنزل[38].

ب)في سورة الرعد الآية 43،

﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب (الرعد: 43)﴾

يتغير اختلافُ القراءة المعنَى في هذه الآية. فقد وردت الجملة "ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب" بالقراءة التالية: "ومِنْ عِنْده عِلْمُ الكتاب" و "ومِنْ عنده عُلِم الكتاب"[39].

ت)في سورة المائدة الآية 6،

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين (المائدة: 6)﴾

---

[38] *نفس المرجع*، ص. 13.

[39] *نفس المرجع*، ص. 13-14.

لاينحصر اختلاف القراءة في هذه الآية على تغير المعنى، بل تغير على اختلاف حكم الفقه. القول الأول يقرأ لفظ "وأرجلكم" بالمجرور بالعطف على "برؤسكم". أما القول الآخر يقرئه بالنصب بالعطف على وجوهكم. فالقول الأول يكفي بمسح الرجلين في الوضوء. أما القول الثاني يوجب غسل الرجلين بعد مسح الرأس في الغسل[40].

3) القراءات بزيادة اللفظ في نص القرآن. كانت غايتان في وجود هذا القراءات:

- لتصحيح حقيقي على النص القرآني،
- لإضافة تعليقات موضحة فقط التي لاتغير النص في شيئ.

ونظر إليها نسلٌ متأخر بالنظرة الأولى. ولتصحيح هذه النظرة روي عن بعض الصحابة أنهم يجوزون إضافة مثل هذه التعليقات المعينة على الفهم، دون اعتراف بأنها من نص الوحي[41]. فمن أمثال هذه القراءة:

أ) في آخر الآية 50 من سورة آل عمران:

---

[40] *نفس المرجع*، ص. 14-15.

[41] *نفس المرجع*، ص. 21.

﴿.. وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله [من أجل ما جئتكم به] وأطيعون [فيما دعوتكم إليه] (آل عمران: 50)﴾

أُخذت الزيادات لهذه الآية عن ابن مسعود لمظهر التكملات المفسرة إلى جانب النص الأقرب إلى البساطة[42].

ب)في سورة الأحزاب الآية 6،

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ... (الأحزاب: 6)﴾

زاد ابن مسعود "وهو أب لهم" بعد لفظ "أمهاتهم"[43].

ت)في سورة البقرة الآية 213،

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ... (البقرة: 213)﴾

أضاف ابن مسعود وأبي بن كعب كلمة "فاختلفوا" بعد "كان الناس أمة واحدة" طبقا للمفهوم المنطقي[44].

---

[42] *نفس المرجع*.، ص. 21.
[43] *نفس المرجع*.، ص. 21-22.
[44] *نفس المرجع*.، ص. 22.

ث)في سورة المجادلة الآية 7،

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم (ولا أربعة إلا الله خامسهم) ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم (إذا أخذوا في التناجى) ... (المجادلة: 7)﴾

في النص المشهور، الكلمة "إلا الله" يُكتب بـ"إلا هو" و "ولا أقل" بـ"ولا أدنى". فتلك الزيادة الأخيرة بين المعقوفتين أريد بها فيما يبدو إزالة شبهة أن الله الشهيد على كل شيئ لا تقتصر شهادته على وقت التناجي، بل هو حاضر قبل ذلك عند قصد الشروع فيه[45].

ج) في سورة هود الآية 71،

﴿ وامرأته قائمة (وهو قاعد) فضحكت فبشرناها بإسحاق ... (هود: 7)﴾

كانت زيادة "وهو قاعد" بعد "وامرأته قائمة" في هذه الآية في قراءة ابن مسعود[46].

ح) في سورة النساء الآية 24،

---

[45] *نفس المرجع*، ص. 22-23.

[46] *نفس المرجع*، ص. 23.

﴿.. فما استمتعتم به منهن (إلى أجل مسمى) فآتوهن أجورهن فريضة ... (النساء: 24)﴾

في هذه الآية هي كتقوية لتأسيس جواز نكاح المتعة[47].

خ) في سورة البقرة الآية 198،

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم (في مواسم الحج) ... (البقرة: 198)﴾

تردد بعض الناس في صحة عقد البيع وقت الحج. فزاد ابن عباس في قراءته "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم (في مواسم الحج)" لإزيال ذلك التردد.

د) في البقرة الآية 238،

﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (وهي العصر) ... (البقرة: 238)﴾

[47] *نفس المرجع*.، ص. 23.

تفسير "والصلاة الوسطى" في هذه الآية. يفهمها بعض العلماء على أنها صلاة الصبح والآخر بصلاة الظهر. ولكن إجنتس يميل على القول أن تفسير ذلك اللفظ صلاة العصر. قال بأنه يريد العدد الراجح من قدامى المفسرين أن يفهموا من ذلك بصلاة العصر، لما ينسب من دلالة عظيمة إلى ذلك الوقت من النهار بوجه عام. وقصدًا إلى حماية هذا التفسير من تعيين وقت آخر منافس له، أقحم من يقول به توضيحهم في نص القرآن. فرووا عن مولاة لعائشة، حميدة بنت أبي يونس، أنها قالت: "أوصت عائشة لنا بمتاعها، فوجدت في مصحف عائشة ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى [وهي العصر)]))، كما روي أن عائشة نفسها حينما سئلت عن النص الصحيح قالت: "هكذا كنا نقرؤها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[48].

ولكن في ناحية أخرى، قال إجنتس: ويروي بعضهم رواية ظاهرة الوضع، وإن صيغت في قالب جدير بالوثوق، أن حفصة، زوجة الرسول، أمرت من يكتب لها مصحفا، فقالت: "إذا بلغت هذا المكان فأعلمني، فلما بلغ : ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)) قالت: "أكتب ((وهي العصر)) فإني سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم". ولكن آخرون عارضوا هذه الرواية

[48] *نفس المرجع*، ص. 24-25.

برواية بنص آخر لخبر حفصة، أن حفصة أملت على مولاها الذي أمرته بكتابة مصحف لها: ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر))[49].

ولاستقصاء جميع الاحتمالات، لابد من النظر على قول البراء بن عازب صاحبي الرسول، قال أن النص كان يقرأ عدة سنين على عهد الرسول: ((حافظوا على الصلوات وصلاة العصر)) ثم غير الرسول نفسه هذا التعيين ناسخا الأمر الأصلي بقراءة: ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى))[50].

ذ) عن مسئلة الكفارة للحنث في يمين اللغو فحكمه كما ذكر في سورة المائدة الآية 89[51]،

﴿.. إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ... (المائدة: 89)﴾

وقد وقع الاختلاف في الجيل القديم، هل فرض من الكفارة بصيام ثلاثة أيام متتابعات، أو أن الكفارة تعد حاصلة بصيام ثلاثة أيام غير متتابعات؟

---

[49] *نفس المرجع*، ص. 25.
[50] *نفس المرجع*، ص. 25.
[51] *نفس المرجع*، ص. 26.

قد تساهل المذهب الفقهي الذي يعد حكم تلك الآية بصيام ثلاثة أيام متفرقة. أما من يجيب التتابع، منه مذهب أبي حنيفة، يقحمون رأيهم في نص القرآن بزيادة موضحة فقرؤا ((فصيام ثلاثة أيام [متتابعات]). هذه الزيادة نسبت إلى ابن مسعود وأبي بن كعب.

4) القراءة بإبدال لفظ بمرادف يؤدي نفس المعنى أو إبدال لفظ بآخر لأجل التبين. جار هذا الاختلاف في النص بروح واسعة الحرية. فمن الجائز أن تستبدل كلمة غامضة بأخرى أوضح منها[52]. وعلى سبيل المثال:

أ) قرأ أبو السرار الغنوي كلمة "نفس عن نفس" في سورة البقرة الآية 48 بـ"نسمة عن نسمة"[53].

ب)تشتمل سورة المائدة الآية 38 على الحد المفروض في عقاب السرقة،

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ... (المائدة: 38)﴾

[52] *نفس المرجع*، ص. 27.
[53] *نفس المرجع*، ص. 26-27.

ولكن ليس هناك البيان في أي الأيدي تقطع. الجواب في القراءة المروية عن ابن مسعود[54]:

((والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما))

ت)في سورة الرحمن الآية 9،

﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (الرحمن: 9)﴾

بدل بعض علماء القراءة، مثل ابن مسعود، لفظ "بالقسط" بـ"باللسان"[55].

ث)في سورة مريم الآية 26،

﴿.. إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا (مريم: 26)﴾

أُستبدل لفظ "صمتا" بلفظ "صوما". ونسبت الرواية إلى أنس بن مالك قراءة: "صوما و صمتا"[56].

ج) في سورة الإسراء اللآية 93،

﴿لن نؤمن لك ... أو يكون لك بيت من زخرف (الإسراء: 93)﴾

---

[54] *نفس المرجع*.، ص. 27.
[55] *نفس المرجع*.، ص. 27.
[56] *نفس المرجع*.، ص. 28.

قال مجاهد عن هذه الآية: "كنا لاندري ما الزخرف حتى رأينا قراءة ابن مسعود: ((أو يكون لك بيت من ذهب)) فهو لفظ مرادف يشرحه"[57].

ح) في سورة الكهف الآية80،

﴿.. فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (الكهف: 80)﴾

يضطرب الضمير "نا" في هذه الآية. فالعلماء يفسره بعبد الله المرافق لموسى، غير "نا" بمعنى الرب والنبي خذر. مع أن هناك القراءة الأخرى التي قد جاءت بصراحة لم تدع شكا في أن المسند إليه الخوف هو الله، فقُرأ "فخشينا" بـ"فخاف ربك"[58].

5) اختلاف القراءة الذي يقدم مسخا تاما للقراءة المشهورة[59]، هذا بمعنى إبدال لفظ الآية بلفظ آخر لايتعلق بللفظ الأصلي. فمن أمثال هذه القراءة:

أ) في سورة الصافات الآية 45-46،

﴿يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * (الصافات: 45-46)﴾

---

[57] *نفس المرجع*، ص. 28.
[58] *نفس المرجع*، ص. 28.
[59] *نفس المرجع*، ص. 29.

بدل ابن مسعود لفظ "بيضاء" بـ"صفراء"[60].

ب)في سورة الصافات الآية 123 و 130،

﴿وإن إلياس لمن المرسلين (الصافات: 123)﴾

﴿ سلام على إل ياسين (الصافات: 130)﴾

بدل ابن مسعود لفظ "إلياس" و "إلياسين" بـ"إدريس" و "إدريسين"[61].

ت)كان في القرآن تغيير اللفظ المستبعاد المعنى غير صريح بوضع ما هو يناقض اللفظ الأصلي. تقع هذه القضية في أول السورة الروم،

﴿غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * (الروم: 2-3)﴾

نزلت هذه الآية بعد انتصار الفرس على الروم سنة 616 م. التفسير المشهور من هذه الآية هو، أن محمد تنبأ على اعتزاز سيناله الروم. وذلك الاخبار قد وقع بانتصار هرقل، سلطان الروم، على الفرس سنة 625 م. ولكن بعض العلماء لايتفق بهذا التفسير. فقُرأ لفظ "غُلبت" بالبناء المجهول بـ"غَلبت" بالبناء

[60] *نفس المرجع*، ص. 29.
[61] *نفس المرجع*، ص. 29.

المعلوم. فلايتعلق معنى هذه الآية باعتزاز الروم سنة 625 م، بل يتعلق بنصر أحرزه الروم توًّا على قبائل عربية تقع على الحدود السورية[62].

6) القراءات لأجل الخشية من السماح باستعمال عبارات متصلة بالله ورسوله تبدو غير لائقة أو غير متفقة مع وجهة النظر إلى وجوب تعظيم الله ورسوله. وهنا، أراد بعض القراء استبعاد هذا التخوف من صدور ما لا يليق بتغيير يسير من النص يسمى بالتغييرات التنزيهية. هذه الطريقة مثل طريقة تِقون سوفريم (Tikkun Soferim) في نص العهد القديم. ولكنه، التغييرات اللفظية التي أجريت بباعث اللياقة وحسن الأدب في النص الأصلي للعهد القديم قد وصلت إلى اعتماد نهائي، على حين لم تنجح دائما مثل هذه التغييرات في نص القرآن للاحتفاظ بوجودها في النص المتلقي بالقبول[63]. كان بعض الأمثلة لهذه الطريقة:

أ) في سورة آل عمران الآية 18،

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ... (آل عوران: 18)﴾

في هذه الآية، شهد الله مع الملائكة وأولي العلم بألوهية الله معا. فاستعانوا على علاج ذلك بالاستعاضة عن قراءة الفعل "شهد الله" بصيغة الجمع:

---

[62] *نفس المرجع*، ص. 30-31.

[63] *نفس المرجع*، ص. 31-32.

"شهداء الله"، رابطين ذلك بالسياق في الآية السابقة على أن يكون المعنى:

"الصابرين والصادقين ... شهداء الله أنه لا إله إلا هز والملائكة الخ"

بيد أن من أحدثوا التعديل المذكور لم يجروا مثله في الآية 166 من سورة النساء،

﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (النساء: 166)﴾

فتركوها دون تغيير لصعوبة التعديل بها[64].

ب)في الصافات الآية 11-12،

﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا (أي من السماء والأرض والكواكب والملائكة التي عدت قبل ذلك) إنا خلقناهم (الناس) من طين لازب * بل عجبت ويسخرون * (الصافات: 11-12)﴾

ويبدو أن إسناد العجب إلى ضمير المخاطب، أي إلى محمد، من قبيل التصحيح والتصويب. والقراءة الأصلية المنسوبة إلى الكوفيين وقرأه عبد الله بن

[64] *نفس المرجع*، ص. 32-33.

مسعود،ولكن تعارض بقراءة المدنيين والبصريين المعتمدة في أوسع الأوساط وأكثرها، يبدو أنها "عجبتُ" بالاسناد إلى ضمير المتكلم. وفي هذ العجب المنسوب إلى الله، وجد بعضهم معنى مجازيا لذلك. السبب هو قراءة هذا اللفظ بـ"عجبتَ" هو لتغيير وصف الله بصفة العجب. ولكنه، قال الطبري: "إنهما قراءتان مشهورتان وأن التنزيل نزل بكلتيهما ولم يفضلوا حدة منهما على الأخرى فقد أمر الرسول أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما". وقد جرى على ألا يقبل من القراءات المخالفة إلا ما كان معناه غير مختلف. فإذا كان الطبري يعطي القراءة الموهمة ما لا يليق مكانا مساويا للقراءة المشهورة مؤيدا ذلك بحجج راجحة الوزن فلا بد أن يكون لهذه القراءة جذر عميق[65].

ت)في العنكبوت الآية 2-3،

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الْكاذبين * (العنكبوت: 2-3)﴾

تشتمل هذه الآية على افتراض أن الله سيعلم ذلك بعد امتحان، كأنما لم يعلمه دون ذلك وكأنما ليس هو الذي قدره وقضاه. ويبدو أن قراءة منسوبة إلى عليّ

[65] *نفس المرجع*، ص. 33-34.

والزهريّ قصد بها إلى رفع هذه الشبهة. وهذه القراءة تجعل من "فليعْلمن" بتغيير في حركاتها: "فليُعْلِمنَّ" بمعنى فليُعَرِّفَنَّ الله الناس بهم أو بمعنى فليسمنَّهم الله بعلامة يعوفون بها. وتعد زرقة العيون عند العرب علامة على خبث الطوية وتعد قبيحة يتشاءم بها[66].

ث)في المائدة الآية 112،

﴿.. يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ... (المائدة: 112)﴾

لا يمكن مثل هذا السؤال أن يصدر على لسان الحواريين. لهذا، قرأ بعضهم مع اقتسار للتركيب على الكلمة "هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ" بـ"هَلْ تسْتَطِيعُ رَبَّكَ" بمعنى تستطيع سؤال ربك، أي أن تجعله يغفل ذلك بناء على سؤالك إياه[67].

ج) قد دعت إلى مثل هذه الحيطة في المائدة الآية 112قراءة للآية 112 من سورة الأنبياء،

﴿ قال رب احكم بالحق ... (الأنبياء: 112)﴾

---

[66] *نفس المرجع*، ص. 35-36.

[67] *نفس المرجع*، ص. 36-37.

لم يرتض أحد ثقات القراء أن يطلب محمد إلى ربه أن يحكم اللهُ بالحق، كأنما في الإمكان أن يحكم بغير ذلك. فأراد رفع هذه الشبهة بتحويل الصيغة، بانتقال الكلام من الإنشاء إلى الإخبار: "ربي أَحْكُمُ بالحق". ولكن هذا التصحيح لم يجد قبولا عند العلماء[68].

ح) الآية 106في البقرة،

﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ... (البقرة: 106)﴾

تفيد هذه الآية أن الله يريد أن يسلط النسيان على ما أوحى به. وهذا تراءى لبعض العلماء تعبيرا أبعد عن اللياقة من نسخ الاحكام الالهية، مع عدم محوها من الذكر والتلاوة. وقد دعت هذه الشبهة القراءة: "تنساها". وقرأ سعيد بن المسيب "ننسأها" بإسناد النسيان إلى الله. ولكنه، غضب سعد بن أبي وقاص حين بلغه تلك القراءة[69].

خ) في سورة المائدة الآية 106،

[68] *نفس المرجع*، ص. 37.
[69] *نفس المرجع*، ص. 37-38.

﴿.. فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الْآثمين (المائدة: 106)﴾

أنه غير لائق أن يجعل لفظ "شَهَادَةَ اللَّهِ" المفعول إذ كان يفيد أن من الممكن كتمان شيئ شهيده الله نفسه. فقرأ عامر الشعبي بتنوين لفظ "شهادة" ومد همزة "أالله" على ابتداء جملة جديدة. والاستفهام هنا عوض عن القسم[70].

د) يتبين اختلاف القراءة بسبب الخوف والتقوى من مثل التصويبات والتنزيهيات فيما جرى على الآية 137 من سورة البقرة،

﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ...(البقرة: 137)﴾

حذف بعض العلماء لفظ "مثل" في هذه الآية. يريدون أن يحذفوا الظن أن منطوق اللفظ يضع على ذلك إلى جانب الله مثلاً يدعى اليهود أنهم يؤمنون به[71].

---

[70] *نفس المرجع*، ص. 39.

[71] *نفس المرجع*، ص. 39.

7) التصويبات في نص القرآن بالقصد إلى تعظيم مناقب الرسول ومن قبله من الرسل للخوف من علماء القرآن أن القراءة المتلقاة بالقبول قد تمس هذه المناقب أدنى مساس[72]. فمن هذه التصويبات هي،

أ) في سورة آل عمران الآيى 161،

﴿وما كان لنبي أن يغلّ ... (آل عمران: 161)﴾

شك بعض المفسرين في أن النبي عمل عملا لم يخل من المؤخذة تماما في بعض أمور تافهة. فيقال إنه بعد غزوة بدر لم يجعل قطيفة حمراء ضمن الغنائم. ومرة أخرى، حينما ابتدعت عن سواد الجيش طلائع وجهها لاستطلاع العدو، قسم ما غنمه من سريرة معادية التقى بها على من حضر معه من المقاتلة فحسب. فبدا غير لائق في نظر بعض المؤمنين أن يُفسح المجال لأدنى افتراض ينسب إلى الرسول عملا غير صالح ولو على وجه السلب. وقد أزال هذا الاشكال كثيرون بقراءة الفعل مبنيا للمجهول في الكلمة "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ

[72] *نفس المرجع*، ص. 40.

يُغَلَّ". وبهذا، حذفت الافتراض غير اللائق يمكن أن يأتي على الرسول الأمر غير الحق[73].

ب)تسبب آية 110 من سورة يوسف حيرة كبيرة للمفسرين،

﴿حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (يوسف: 110)﴾

والمعضلة هنا في الكلمات "وظنوا أنهم قد كذبوا" بالبناء المعلوم، أي صدر عن الرسل الكذب. إذ لاشك أن هذه هي القراءة الأصلية. بيد أن كون الأنبياء قد ظنوا أنهم كَذَبوا، أمر لايستطيع مؤمن أن يحتمله ويتقبله. وجعلت الرواية زوج الرسول عائشة نفسها تتدخل في الأمر ويسمح إصلاح النص. فقد قرأ بعضهم بدلا من "كَذَبوا" بالبناء المعلوم "كُذِبوا" أو "كُذِّبوا"، بالتخفيف والتشديد على البناء المجهول، وقد صارت القراءة بالتخفيف على البناء المجهول هي القراءة المشهورة. ولكن على ذلك تكون كلمة "ظنوا" في غير محلها. ولهذا عالج العلماء ذلك بتأويل معنى الظن، أنها قد يدل على معنى "العلم"[74].

ت)في سورة يوسف الآية 12،

---

[73] *نفس المرجع*، ص. 40.

[74] *نفس المرجع*، ص. 41-42.

﴿أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ... (يوسف: 12)﴾

قد رويت أكثرُ القراءات المختلفة في كلمة "يرتع"، هل هي من "رتع" أو من "رعى". وتهمنا هنا الكلمة "ويلعب"، وهي أكثر القراءات ألفة لدى القراء. ولكن القراءة الأساسية في نص الزمخشري "ونلعب" هي القراءة الأصلية[75].

ث)في سورة يوسف الآية 81،

﴿.. يا أبانا إن ابنك سرق ... (يوسف: 81)﴾

ما قاله إخوة يوسف كأن يكونوا يقرروا بخطيئة بنيامن. وقد محت هذه الخشونة قراءة الكسائي "سُرِّقَ" أي نُسب إلى السرقة[76].

8) القراءات غير مقبولة ويقال لها قراءة الرسول. مثال هذه القراءة:

أ) في الآية 129 من سورة التوبة "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ" بضم الفاء في القراءة المقبولة، ذكرت بفتح الفاء "مِنْ أَنْفَسِكُمْ" على أنها قراءة الرسول وفاطمة وعائشة[77].

---

[75] *نفس المرجع*.، ص. 42-43.

[76] *نفس المرجع*.، ص. 44.

[77] *نفس المرجع*.، ص. 51.

ب)قال عبد الله بن أبي سرح: "إنه كان يحول النبي كما يريد". وقال: "كان يملي عليّ مثلا: عزيز حكيم، فأقول: هل أكتب "عليم حكيم"، فيقول النبي: "نعم كل صواب"[78].

9) حصل الاعتراف بقراءات اقتضتها ضرورة المطابقة بين قواعد النحو الدقيقة وبين صيغ لفظي وتراكيب جُملية تخلفها. وعلى سبيل المثال من هذا:

أ) في سورة الحجرات الآية 9،

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ...(الحجرات: 9)﴾

يعود ضمير جمع المذكر في "اقْتَتَلُوا" على مثنى المؤنث "طائفتان"، فقد أراد بعض القراء مطابق قواعد النحو في هذه الآية، فقرأ بعضهم بـ"اقتتلتا" (ابن أبي عبلة) و "اقتتلا" (عبيد بن عمير). وفي أزمنة متأخرة عن ذلك، اشتد النكير على استعمال تصحيح النحو[79].

ب)لقي المبرد، العالم اللغوي الشهير، معاملة غير رفيقة حينما صرح على استحياء عن رأي له في تسوية انحراف في التركيب في الآية 177 من سورة البقرة،

---

[78] *نفس المرجع*، ص. 51.

[79] *نفس المرجع*، ص. 66.

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الْآخر والملائكة والكتاب والنبيين ...(البقرة: 177)﴾

رأى المبرد في هذه الجملة "وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ" على أنها بعيد أن يرد في كلام الله. وقال اللغوي المشهور والشجاعة: "لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرئت: وَلَكِنَّ الْبَرَّ" بفتح الباء. من أجل ذلك كان عليه أن يحتمل سخط أهل السنة عليه قرونا طويلة بعد وفاته، إذ كانوا يرون في القراءة المتلقاة بالقبول "ليس الْبِرَّ" بكسر الباء تحقيقا للإعجاز البلاغي في كلام الله[80].

ت)في سورة الأنعام الآية 137،

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون (الأنعام: 137)﴾

وردت في تركيبها قراءات كثيرة. منها القراءة لابن عامر "زُيِّنَ ... الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلادَهُمْ شُرَكَاؤُهِمْ" على الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول. لم يوافق هذا التشتيت، عند الزمخشري، في التركيب الذوق النحو الدقيق، فقال: والفصل بينها بغير الظرف فشيئ لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان

[80] *نفس المرجع*، ص. 66-67.

سمجا مردودا. فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ؟"، فاقتضى في نظره قراءة ابن عامر التي لا يعول عليها. في هذه القضية، ظن أن هذه الآية تثبت بالرأي، ولا بالنقل[81].

[81] *نفس المرجع*، ص. 67-68.